# أناقة شكيب عوض الجمالية

عبدالرحمن نعمان

يعتقد البعض ان صفة الاناقة تطلق على مظهر الشخص الخارجي وما يرتديه من ملابس غالية الثمن.

●● ويرى البعض الآخر، ان في البساطة جمال ، فقد يلبس احدنا ملابس غالية الثمن ، لكنك لاتراه انيقاً ، بينما ترى آخر انيقاً وان قل ثمن مايرتديه .. وفي هذه الصفة قد يكون لآخر تناول اطول ، اما انا فلست بصدد هذا الجانب من الاناقة ، ولكل رأيه وذوقه.

اذكر انه قد نظمت ندوة ، وفاء للراحل الصحفي والفنان ، الانيق شكلاً وجوهراً ، الفقيد شكيب عوض رحمه الله وكان قد حضرها عدد من المهتمين وضمن من حضرها الفقيد الصحافي المناضل المخضرم الاستاذ معروف حداد .. وكان يومها تعباً لايقدر على حمل رجليه او تحريك شفتيه عندما تحدث عن شكيب وقد صادف ان توفي بعد هذا اللقاء بفترة ربما لم تتجاوز الاسبوع ( إنا لله وإنا اليه راجعون)

–حقيقة .. نحن مقصرون في حقوق جميع من غادروا هذه الدنيا من مبدعي صحيفة ١٤( اكتوبر) مدرسة الصحافة اليمنية الأولى ونأمل ألا يتكرر هذا التقصير في حق الاحياء .. لذلك ليس من ( الاناقة) حرمان صحافي ١٤ اكتوبر مما يتحصل عليه صحافيو بقية الصحف الحكومية من حقوق وآمل ، ان يعذرني القارئ ان وجد خروجاً عن الموضوع او رأي في

الفقرة السابقة خروجاً عن موضوع الاناقة ، فذلك كان لترابطه مع حديثي في منتدى ( الثورة) عصر يوم الوفاء للراحل الانيق شكيب عوض.

حيث جاء في سياق حديثي ضمن ماجاء انه (رحمه الله) كان انيقاً في حياته ، في خطابه مع الآخر ، في تقديمه للبرامج الاذاعية والتلفازية في اختلافه في حواره في ملابسه ومظهره.. وحتى في مأكله ( وهو لا تفارقه الابتسامة ابداً ).

وعندما كنت برفقة الاستاذ العزيز واثق شاذلي في سيارته ( الكركوبة) مع اعتذاري للأستاذ واثق سالني : كيف كان انيقاً في مأكله؟ والحقيقة ان الاستاذ واثق اراد ان يتاكد من امر سبق له ان قرأه ، فاوضحت له.

انه كان – حسب مشاهداتي له في اكثر من حفل استقبال – يختار من المائدة اختياراً ، ويأخذ مما يأخذه من تلك الموائد القليل الذي ينم عن قناعة ولايدل على جشع في نفسه كما يبدو على آخرين ، كما ينم عن شخص غير مسرف.

اما عندما يأكل ما اختار من الطعام ، فانه بهدوء ينزل يده ويرفع ٠ الشوكة) وبهدوء يقطع بـ ( السكين) وبهدوء يرفع ( اللقمة) الى فمه ويمضغ بهدوء مضغاً ( جميلاً ) تنزل ( اللقمة) الى معدته ( برداً وسلاماً).

ثم قارنت هذا بشخص آخر ملياردير، كنت اراه بين الحين والآخر في حفل استقبال لهذه القنصلية او تلك .. من لايعرفه وهو يملأ (صحونه) بالاغذية والفواكه و( الحلاية) سيعتقد ان هذا شخص فقير و ( مليان دين) !!

# إحياء تراث الرموز الثقافية والإبداعية

انطباعات فنية

**الاعلام الادبية والثقافية والابداعية رموز وطنية ينبغي ان تحظى بالرعاية والاهتمام اللذين يليقان بالاسهام الفكري والابداعي الذي قدمته تلك الرموز للوطن وللثقافة والفكر والابداع.. ذلك امر لايختلف عليه اثنان، وتجد اشارات له في برامج وادبيات الاتحادات والمنظمات الابداعية والمهنية وكذا في خطط وبرامج المؤسسات الثقافية الرسمية**

نزار طه فارع

محمد سعد عبدالله

أحمد قاسم

طه فارع

محمد مرشد ناجي

حيث تحصل تلك البرامج والخطط بالعديد من الاشارات الى ضرورة احياء تراث اعلام الادب والفن والثقافة الا ان مايلاحظ ومنذ فترة ليست بقصيرة ان تلك القضية تاخذ حقها من النقاش وتاخذ طريقها الى خطط وبرامج المؤسسات الثقافية والابداعية الرسمية وغير الرسمية ولكنها لاتجد طريقها الى التنفيذ الامثل ، ففي احسن الاحوال نجد النشاط في هذا الاتجاه يقتصر على قيام المؤسسات الثقافية والابداعية– خاصة غير الرسمية – بتنظيم ندوة او امسية شعرية او قصصية او فنية في ذكرى هذه الشخصية او تلك من الشخصيات التي اثرت واقعنا الثقافي و الابداعي وكثيراً ما تمر ذكرى ميلاد او وفاة بعض الشخصيات دون ان تجد من يلتفت اليها مجرد الالتفات..

ولعل الامر يبدو واضحاً ان النيات الحسنة لدى المؤسسات الثقافية والابداعية لن تنجز مثل تلك المهمة مالم يتوفر العمل المشترك والمنسق بين تلك المؤسسات ، وتتضافر جهود مختلف الجهات ذات العلاقة لانجازه، ذلك لكون مهمة احياء تراث الرموز الثقافية والابداعية مهمة وطنية عامة، وينبغي ان يكون الجهد المكرس للاضطلاع بها جهداً وطنياً عاماً وشاملاً خاصة بعد زوال التشطير السياسي للوطن والذي كان يشكل عائقاً امام الجهود الوطنية للعمل الثقافي .. في اعتقادنا اننا اذا ما عقدنا العزم على القيام بتلك المهمة فاننا لن نكون بحاجة سوى الى وضع الخطوط العريضة لبرنامج وطني لاحياء تراث الرموز الثقافية والابداعية ، ذلك ان القضية– كما اسلفنا – قد اخذت حقها من النقاش في الصحف والندوات والمؤتمرات، وبذلك قد بلورت ملامحها وحددت اوليات العمل لانجازها ، ويمكن هنا ان نضع تصورنا الشخصي لاهم مايمكن القيام به لايجاد عمل فعلي يؤتي ثماره للقيام بمهمة احياء تراث الرموز الثقافية والابداعية وذلك على النحو التالي:

اولاً : تشكيل لجنة وطنية لاحياء التراث الثقافي والابداعي على ان يكون لتلك اللجنة فروع في المحافظات وينبغي ان يتألق قوام تلك اللجنة من المؤسسات الثقافية الرسمية ، وزارة الثقافة والمؤسسات الثقافية الاخرى ذات العلاقة ، وكذا المؤسسات او المنظمات الابداعية والمهنية، اتحاد الادباء والكتاب اليمنيين، اتحاد الفنانين ، اتحاد الصحفيين وغيرها من المنظمات والجمعيات الابداعية والمهنية وبالاضافة الى المؤسسات الرسمية الاخرى ذات العلاقة وكذا الشخصيات الثقافية والابداعية التي يمكنها ان تساعد في عمل اللجنة.

ثانياً : القيام بمسح شامل للأعلام الثقافية والابداعية وتراثهم والبحث في جوانب حياتهم الشخصية ، وتوثيق كل ذلك من خلال التالي:

أ– انشاء متحف عام للتراث الابداعي والفكري والشخصي لأولئك الاعلام، ويمكن الاستفادة من مساكنهم الشخصية لإقامة متاحف لكل شخصية على حدة في حالة توفر الامكانية لذلك الى جانب وجود متحف عام ويتم تزويد المتحف العام والمتاحف الشخصية بكل نتاجات الشخصية المعنية من كتب ولوحات ومسودات ووسائل وآلات موسيقية ومقتنيات فنية، وصور شخصية وغيرها من الامور التي يمكن باجتماعها ان تضيء مختلف جوانب حياة وعطاء هذه الشخصية او تلك.

ب) اعادة انتاج التراث الذي تركه اولئك الاعلام ، كالكتب ودواوين الشعر والمجموعات القصصية ، والتسجيلات الغنائية ، اللوحات، الاعمال التمثيلية والدرامية حتى تكون في متناول المهتمين بالثقافة والابداع..

ج) ترسيم المواقع التي عاش فيها اولئك الاعلام من خلال وضع لوحات معدنية على المنازل والشوارع والمدارس وغيرها من المواقع تحدد فيها فترة اقامة الشخصية المعنية في هذا الموقع او ذاك.

د) اطلاق اسماء الشخصيات المعنية على الشوارع والاحياء التي عاشت فيها، واقامة تماثيل لابرز الشخصيات في تلك الشوارع والاحياء..

ثالثاً : القيام بدراسة التراث الثقافي والابداعي لتلك الشخصيات وعقد الندوات والمحاضرات في ذلك الاتجاه.

رابعاً : اقامة المهرجانات والمواسم الثقافية لابرز الشخصيات على غرار مهرجان باكثير ومهرجان القمندان.

تلك كانت ابرز الخطوط لايجاد عمل يهتم باحياء تراث الرموز والاعلام الثقافية والابداعية ، على انها ستظل ناقصة مالم يوجد اكثر من رأي لتحديد الاتجاهات الرئيسية للقيام بتلك المهمة، واذا ما تضافرت الجهود في رسم اتجاهات العمل والبدء بالخطوات العملية لانجازها فان امر التراث الابداعي والثقافي سيبشر بالخير..

## تدوين اغانينا اليمنية .. مهمة وطنية

تتميز الاغنية اليمنية عن غيرها من الاغاني العربية بمميزات وخصائص ، وربما تنطلق في ذلك من الايقاعات المتعددة والمتنوعة التي تميزها عن الايقاعات الاخرى.

والغناء في اليمن كثير ومتشعب الاتجاهات بتشعب مناطقه ومساحته الكبيرة. ولعلنا لانغالي اذا قلنا لم يبلغ اي بلد عربي مابلغته اليمن في كثرة اغانيها والوانها المتعددة.

في النصف الثاني من القرن العشرين خصوصاً في مطلع كبيراً ، كما شهدت مرحلة من التجديد والتطوير في السبعينات والثمانينات وعلى الرغم من انها انتشرت انتشاراً واضحاً على مستوى الوطن العربي، الا انها في السنوات الاخيرة تعرضت لدى بعض الذين لاحول لهم ولاقوة الى تبديل وتحوير وتشويه وهذه فرصة نوجهها الى كل المهتمين وخاصة من الادباء الذين تقع عليهم هذه المهمة ان نحافظ على هذا التراث الذي تركه لنا آباؤنا واجدادنا، ويتم هذا – في رأيي الشخصي – بأن ندون هذه الاغاني أو ان نكمل المشوار الذي بدأه الفنان الكبير محمد مرشد ناجي في كتابيه « اغانينا الشعبية» و « الغناء اليمني ومشاهيره» وكذا الفنان الكبير طه فارع في كتابيه « لمحات من تاريخ الاغنية اليمنية الحديثة» و« الاغنية اليمنية المعاصرة» هذا التدوين لأغانينا اليمنية ، او اصدارها في

# تحرير المواطن في زمن العولمة

نادرة عبد القدوس

يسأل الكاتب المعروف « السيد يسين» في مقالة له كتبها في جريدة الاهرام المصرية « في نهاية القرن المنصرم» بعنوان تحرير المواطن في زمن العولمة منتقداً الاتجاهات السائدة في الخطاب العربي المعاصر حول العولمة وابرزها الموافقة الكاملة على العولمة والدعوة الى الانغماس فيها بدون تحفظ او الرفض المطلق لها على اساس انها شر خالص : « ما دور السياسي والمثقف الذي ينبغي ان يلعبه في مواجهة العولمة وخصوصاً هؤلاء الذين يتبنون موقفاً متوازناً منها؟»

ويجيب عن تساؤله في هذا المضمار قائلاً : « ان دور المثقفين والباحثين لاينبغي ابداً ان يقف عند حدود معارضة العولمة من ناحية ، أو قبولها كحتمية تاريخية لامفر منها من ناحية اخرى ، كما هو الحال في الخطاب الفكري السائد وانما لابد لهم ان يخوضوا في صياغة بدائل مقترحة سياسية واقتصادية وثقافية لاجراءات العولمة المتعددة».

وذهب السيد يسين الى انه بدلاً من الخوف من العولمة ، لابد من ان نمتلك أدواتها ولماذا لاننهض بسياسات العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي خصوصاً اذا كانت العولمة نتاج الثورة العلمية والتكنولوجية؟ ولماذا لانطبق اساليب الرشاد الاقتصادية في ادارة الاقتصادات القومية؟ ولماذا لانقوم بتحديث حقيقي وجذري لمؤسساتنا السياسية والاجتماعية والثقافية ؟ ولماذا لانضع استراتيجية متكاملة للنفاذ الى الرأي العام العالمي لابراز وجهة نظرنا النقدية في العولمة ، وتوضيح وضعنا الاقتصادي وتاكيد حقوقنا الشرعية في تنمية بشرية متكاملة ، لايمكن ان تتم بغير اعادة صياغة عديد من الاجراءات العولمة ، وخصوصاً في المجال الاقتصادي ويخلص السيد يسين الى ضرورة « التفاعل الايجابي الخلاق مع العولمة وعلينا ان نستثمر فرصها في النهوض القومي الشامل ، وفي الوقت الذي نواجه فيه تحدياتها ومخاطرها بقلوب جسورة وارادات قوية» .

والحقيقة ان عدداً كبيراً من المثقفين العرب فهم العولمة من جانبها الآخر ، وهو الاندماج الكلي في ثقافات الاخرين وتذويب الهوية العربية ذات الفكر المتوازن المستند على قيم دينية متجذرة نابعة من اخلاقيات انسانية عظيمة.

ويتجلى هذا الانخراط الكلي في الجانب السيئ من العولمة بحجة معايشة العصر ومواكبة تطوراته ، في مختلف ميادين الفكر والفن بمختلف اشكاله حيث نجد الاسفاف في شكل ومضمون الاغنية العربية وفي طريقة ادائها كما يتجلى وبدرجة اساسية في تناولات عدد من المثقفين لقضايا فكرية وسياسية حاسمة في حياة الشعوب العربية مما يجعلنا نطبق عليهم المثل القائل : « ملكيون اكثر من الملك».

وتنعكس آثار المهرولين من المثقفين والساسة العرب الى موضة العصر« العولمة» في استحداث مايسمى : بمنظمات « المجتمع المدني» وهو المصطلح الجديد الذي يُعد احد نتاجات العولمة واضافة جديدة الى مصطلحاتها الكثيرة تبعاً للقطب الواحد المصدر لها وترجمتها حرفياً كما هو الحال مع مصطلح العولمة نفسه (GIOble).

و« المجتمع المدني» المتداول اليوم والدخيل على اللغة العربية هو ترجمة حرفية لكلمة ( civilian soci-ty)ويعني الاحزاب السياسية والاتحادات العمالية والنقابات المهنية والجماعات التطوعية غير الحكومية.

واهم تطور أحدثته العولمة في هذا المجال ان المجتمع المدني بمؤسساته المختلفة لم يعد حبيس حدود الدولة القومية ، بل انه تشكل في العقود الاخيرة مايمكن تسميته مجتمع مدني عالمي يعنى بأمور الديمقراطية والتعددية واحترام حقوق الانسان ، ويستحدث نماذج جديدة في مجال التنمية الشاملة والرعاية الاجتماعية للمواطنة .

وفي هذا الاطار تشكلت وتتشكل كل يوم بل كل ساعة منظمة او مؤسسة جديدة في مختلف الاصقاع وبالذات في الوطن العربي الذي ينظر اليه من قبل الآخرين ( المتقدمين) كأرض وشعب بحاجة الى تنوير وتثقيف واتباع مايملى عليه.. بل ينظر اليه اليوم كمصدر اساسي للارهاب.

ولنسأل انفسنا كمثقفين وكمراقبين وكمواطنين عرب من المتسبب في جعل وطننا العربي ( إمّعه) كرجل اعمى بحاجة الى من يقوده ويرشده الى الطريق الصحيح؟

لن اجيب : بأنه رجل السياسة او الحكام العرب فقط .. ذلك لان المسئولين يتحملها بدرجة اساسية المثقفون العرب الذين يفرجون بصمت على هرولة وطنهم الى

# أشباح إنكليزية رهيبة

**هل تومن بالأشباح ؟ هل تعتقد بأن الاموات يعودون مرة اخرى ليسكنوا هذا العالم؟ هذا كتاب عن الاشباح في بريطانيا. انه كتاب عن اشباح اليوم واشباح الماضي ، بعض الاشباح تعود لشخصيات مشهورة والبعض الاخر لشخصيات غير معروفة . ماهي حقيقة الاشباح ؟ لقد قابلت وتحدثت مع عدد من الناس ممن شاهدوا الاشباح ، ستقرأ بعض القصص في هذا الكتاب- وهذه احداها- وانا اؤمن بأنهم يقولون الحقيقة هذا الكتاب لايحاول تفسير الاشباح .... هو فقط يتحدث عنهم. ربما لم تؤمن بالاشباح بعد. اقرأ هذا الكتاب وحاول تفسير القصص الموجودة بداخله عندئذ ربما ستجد بانك يجب ان تؤمن بهم.**

تأليف : نيك مكيفر

ترجمة : معيد / طارق علي السقاف *

## الاشباح في لندن

ان مدينة لندن مليئة بالاشباح ، ولايوجد احد يستطيع أن يحصي عدد القصص حول الاشباح فيها.... هذه الاشباح لاتظهر فقط في المباني القديمة الشهيرة مثل برج لندن. هناك ايضاً منازل مسكونة، وبارات وشوارع وايضاً مسارح ، هناك شجرة مسكونة في ( الجرين بارك) ، واشباح تظهر في عدد من الكنائس في لندن.

## شبح ميدان بيركلي

يوجد في لندن العديد من الميادين الجميلة، ميدان بيركلي، مع حدائقه واشجاره يعتبر واحداً منها . ان ميدان بيركلي قد تحول الى مكتب اليوم ، ولكنه كان في السابق منزلاً مسكوناً بالاشباح . كان منزلاً مسكون بشبح رهيب جداً في عامي ١٨٧٠–١٩٠٠م ، لم يرغب احد في العيش في ذلك المنزل، فقد كانت هناك العديد من الاصوات والصور الغريبة والمفزعة كل ليلة تقريباً، في تلك الفترة كان الناس في المنزل المجاور يقتربون شيئاً فشيئاً من ذلك المنزل ويسمعون اصواتاً غريبة كانت اصوات وقع اقدام على الارجح وضجة وصخباً عنيفين كان هناك لورد انكليزي شاب ويدعى السيد ليتليتون ، اقام ذلك اللورد في المنزل لليلة واحدة ، كان يردد دائماً " لا اؤمن بالاشباح، ولست خائفاً، وسأمكث في ذلك المنزل" وفي منتصف الليل، سمع الناس في المنزل المجاور صوت اطلاق نار وفي صباح اليوم التالي خرج اللورد ليتليتون من المنزل– والفزع باد على وجهه– صائحاً " اتى شئ ما الى الغرفة واطلقت النّار عليه ولكن لم يؤثر فيه الطلق الناري، ان المنزل مسكون ولست مستعداً ان امكث فيه ثانية» ، ولكن هناك قصة اخرى اكثر غرابة وشهرة حول هذا المنزل الغريب كان هناك بحاران وصلا للتو الى لندن في العام ١٨٧٥م وكانا يبحثان عن عمل في اي سفينة ولم يكن بحوزتهما نقود ولا مأوى للمبيت، فكانا يتسكعان في شوارع لندن ووصلا ميدان بيركلي فقال احدهما" انظر، هناك منزل يخلو من السكان يمكننا النوم فيه" فذهب الاثنان الى المنزل وكان يخيم عليه الظلام فتسللا السلم ودخلا المنزل " فقال احدهما " اشعر بشيء غريب ومريب تجاه هذا المنزل، انه شديد البرودة ومظلم و.. مخيف " فأجابه الآخر " لا تكن غبياً، فليس لدينا مكان سواه للمبيت ولحسن الحظ اننا وجدنا هذا المنزل خالياً، لنمضي ليلتنا فيه" فصعدا الى غرفة النوم في الطابق العلوي وراح الاثنان مباشرة يغطان في نوم عميق، وفجأة – في منتصف الليل– استيقظ الاثنان، فقال الاول" صه ، اسمع... انني اسمع شيئاً غريباً في الاسفل" فرد الآخر " نعم ، انني اسمع صوت وقع اقدام في الأسفل وهي آتية الى الأعلى نحونا" في تلك اللحظة افتح الباب ببطء شديد و" شيئ بدون هيئة محددة " دخل الغرفة ، وكان أحد البحارة مرعوباً جداً فلم يستطع الحراك، فقد راقب ذلك الشيء المرعب ، بينما فر الآخر خارج الغرفة ونزل السلالم والرعب يملأ قلبه وهناك خارج المنزل وبالصدفة وجد شرطياً ورجعا الى المنزل معا مرة ثانية ولكن كان البحار خائفاً جداً فلم يدخل الغرفة، ولهذا صعد الشرطي الى الدور العلوي لوحده ولكن لم يجد احداً في الغرفة ، فبحث في كل الغرف في الطابقين العلوي والسفلي ولكن دون جدوى لم يستطع العثور على البحار الثاني واخيراً نظر الى الخارج من خلال إحدى النوافذ فوجد البحار الذي يبحث عنه ميتا على حديقة المنزل. هل قفز البحار من النافذة؟ أم أن شيئاً ما قد دفعه بقوة الى الاسفل ؟ لا نعلم الحقيقة.

* كلية التربية / صبر/ قسم اللغة الانكليزية

# (المصير) يوحّد بين القاهرة والخرطوم درامياً ونجوماً

القاهرة / وكالات:

انتهى المؤلف فؤاد عبدالعظيم الحميدي، رئيس رابطة كتاب الدراما السودانيين، من كتابة أول مسلسل تلفزيوني يتناول الوحدة بين شعبي وادي النيل مصر والسودان، تحت عنوان (لمصير). وسيتم إنتاج المسلسل مشاركة بين التلفزيون المصري والتلفزيون السوداني ومرشح لبطولته آثار الحكيم وممدوح عبد العليم من مصر وبلقيس عوض وعمر الخضر، وسيجري تصويره عبر ١٥ حلقة بين القاهرة والخرطوم.

ويقول فؤاد عبد العظيم (إن المسلسل يؤكد عمق العلاقات بين مصر والسودان وأهمية إزالة العوائق التي تواجه هذه العلاقات في الحاضر بعد اتفاق قادة الدولتين على إطلاق الحريات الأربع الخاصة بالتنقل والتملك والتبادل التجاري والثقافي من اجل تعميق الثقة بين شعبي وادي النيل مصر والسودان)، مشيراً إلى أن المسلسل سيتم تصويره خلال الشهر المقبل.

عن أحداث المسلسل أشار المؤلف إلى أنها تدور عبر حوار بالعامية المصرية والسودانية من خلال نقل عبدالصبور الموظف في الري المصري إلى الخرطوم في السودان وزوجته زينب التي ترفض السفر معه بحجة أنها لا تستطيع فراق مصر ما أدى إلى الخصومة بينهما وسافر عبدالصبور وحيداً، وفي الخرطوم يتعرف عبدالصبور على جاره عبد القادر الحبوب وسرعان ما تنمو بينهما صداقة عميقة امتدت حتى عودته إلى القاهرة بعد التقاعد حاملاً أسمى مشاعر الود والكرم المطبوع بوحدة المصير.

وبعد العودة يقيم عبدالصبور في غرفة صغيرة حيث يلجأ في أوقات الفراغ إلى القراءة وكتابة المقالات في الصحف مروجاً لآرائه الوحدوية حول الإنسان والأرض والماء. وبالتوازي مع هذا تتوالى الأحداث حول أهمية ارتباط الإنسان بالأرض والتأكيد على أن تعميرها بداية حياته السعيدة.

يذكر أن تصوير المسلسل سيبدأ عقب شهر رمضان المقبل تمهيداً لعرضه في رمضان التالي.

## كتاب مشترك

# (هنريت فالتر) و(بسام بركة) بالفرنسية..

## عندما غامرت اللغة العربية في الغرب

باريس / وكالات:

يحمل كتاب »أرابيسك« الصادر حديثاً في باريس عن دار روبير لافون وداري دي تان للباحثين هنريت فالتر وبسام بركة عنواناً فرعياً هو »مغامرة اللغة العربية في بلاد الغرب« وهو يبدأ منذ الصفحة الأولى بمغامرة، أو بالأحرى بحكاية قديمة تذكرها التوراة كما يذكرها القرآن الكريم، وهي تروي ما جرى في اليمن السعيد عندما جاء طائر الهدهد وطرح أمام الملكة بلقيس رسالةً من النبي سليمان يدعوها فيها إلى الدخول في الدين الحنيف. ولا تهدف رواية هذه القصة إلاّ للوصول إلى سؤال هو بأيّ لغة كُتبت هذه الرسالة؟ أهي العربية الأولى أم لغة أخرى تفرعت منها العربية وغيرها من اللغات السامية؟

هذه البداية تعبّر عن أهداف المؤلّفيْن من وضع هذا الكتاب وهو تعريف القارئ الأجنبي بمجمل الأحداث والتطوّرات الحضارية والثقافية واللغوية انطلاقاً من الأحداث والتطورات التي عرفتها اللغة العربية، منذ بدايتها الأولى من مكّة المكرّمة مع خروج الدعوة الإسلامية أيام النبي (صلى الله عليه وسلم) وحتّى اندماجها في حياة الأوروبيين اندماجاً لا تزال معظم اللغات الأوروبية تحمل آثاره حتّى اليوم. وذلك من خلال التبادل الذي جرى بين ضفتي البحر المتوسط عبر محطات زمنية كبيرة هي العصور الإسلامية المتعاقبة، وعبر بوابات أوروبا البحرية، أي الأندلس ومالطا وصقلية.

ينقسم الكتاب إلى ثمانية فصول يبدأ أولّها بأصول اللغة العربية ونشأتها بين القبائل وتطوّرها مع الشعر العربي ثمّ ينتقل الفصل الثاني إلى رسم صورة متكاملة تاريخياً ولغوياً لانتشار اللغة العربية في ظلّ انتشار الدين الإسلامي لدرجة أنّ اللغة العربية لغة القرآن الكريم المقدّسة أصبحت آنذاك وسيلة التبادل الإداري والتجاري والعلمي من الصين وحتى سفوح البيرينية. ونجد في هذا المجال كيف أن استعمال اللغة العربية تطوّر وانتشر في ثلاث موجات عظيمة واكبت في الواقع تطور الفتوحات العربية وانتشار الدين الإسلامي في شمال أفريقيا وبلاد الأندلس.

ويتابع المؤلفان في الفصول الأخرى تقديم معلومات دقيقة عن اللغة العربية من حيث أصواتها ومخارج حروفها وتاريخ المعاجم التي اعتنت بها. ولا يقتصر الأمر على اللغة كوسيلة تعبير بل تعداه إلى الحروف ودور العرب فيها وإلى الكتابة التي أصبحت مع تطوّر الجماليات العربية فنّاً رفيعاً قائماً بذاته. ويتبيّن في هذا المضمار كيف أن العرب تعلموا صناعة الورق وجلبوها من بلاد الصين. فأنشأوا أول مركز لها في بغداد في عهد الخليفة هارون الرشيد، ثم نقلوها عبر الأندلس لتنتشر في أرجاء أوروبا وتُسهم في ولادة عصر النهضة هناك. هذا بالإضافة إلى أن المهارات التي اكتسبها العرب في مجالات الرياضيات وعلوم الفلك وغيرها مكنتهم من تطوير علم الحساب وابتكار وسائل جديدة فيه، وكان من نتائج هذا التقدّم أن وضعوا طريقة جديدة في كتابة الأعداد والأرقام. وقد انتقلت ممارساتهم تلك الى العلوم الغربية في مضمونها كما في كتابة الأعداد والأرقام وتدوين رموزها. وهذا موضوع يفرد له المؤلفان فصلاً كاملاً.

ومن فصول هذا الكتاب مسردان يقدّمان فكرةً واضحةً عن تداخل اللغتين العربية والفرنسية عبر التاريخ ففي المسرد الأوّل نطّلع على هذا الكمّ الكبير من الكلمات الفرنسية المستعملة حتّى يومنا هذا والتي يعود أصلها إلى اللغة العربية. فنكتشف أن »البرقوق« أصبح عند الفرنسيين »المشمش«، وأن أسماء مدن عربية كثيرة، مثل بغداد، والموصل، وحلب، وفاس، والمغرب، قد دخلت في اللغة الفرنسية للدلالة على منتوجات هذه المدن وصناعاتها.

ومن »رحلات الكلمات العربية« الكثيرة التي يرويها هذا الكتاب حكاية »البرتقال« أو »الليمون« الذي ينسكب تاريخ تجارته والتعامل به، من الصين وحتى فرنسا، في سيرورة الكلمات التي تدل عليه وفي تطوّر استعمالاتها في معظم اللغات التي احتكت بالعربية وبالتجار العرب.

ولما كان التبادل والتفاعل بين العربية والفرنسية من الجهتين، يقدّم المسرد الثاني لائحةً بعدد كبير من الكلمات الفرنسية المستعملة في اللهجات العربيةً الحالية. فربطة العنق، مثلاً، جاءتنا من فرنسا وهي تُلفظ في لهجاتنا المتعددة : »كرافات« أو »كرافاتة« أو »غرافة« أو »كارافاتة«. وإذا أردنا تصليح سيارتنا المعطّلة، فإننا نذهب إما عند »الميكانيسيان«، أو »الميكانيك« أو »الميكانيكي«، وفقاً للمدينة أو البلد الذي نوجد فيه. أما عادم السيارة فهو، حسب الظروف الجغرافية، »أشطمون« أو »أوشطومان« أو »أشكمون« أو »شكمة«، في حين أننا عندما نطلب من الجزار شريحة لحم العجل فإننا نأخذ »فيليه« أو »فيلي« أو »فيلتو« أو »فتيلة«. وفي السهرة الرسمية نتبع قواعد » »الأتيكيت« أو »التيكيت« أو »التيكيتا« أو »الأتاكيت«. إلى ما هنالك من المفردات التي تدل على عمق التفاعل الثقافي والحضاري بين فرنسا وعدد كبير من المدن العربية. وهي كثيرة.

يقول المؤلفان في مقدمة الكتاب إن التواصل بين الأوروبيين والعرب لم ينقطع على مرّ عصور عديدة وإن هذا التواصل سلك طرقاً كثيرة ومتعددة. ولكن، على رغم ذلك، لا يزال يحيط بهذه اللغة في أذهان الغربيين شيء من الغموض، وهو غموض تختلط فيه التصورات الخيالية بالعواطف والأفكار المسبقة. لذلك، جاء هذا الكتاب ليُسهم في إزالة بعض من جوانب هذا الغموض. وإذا كانت المكتبة الفرنسية تحفل بالأبحاث والمؤلفات والموسوعات التي تطمح إلى تحقيق مثل هذا الهدف، فإن ما يميز هذا الكتاب أمران : أولهما أنه يعتمد على قاعدة ثابتة ومحققة من المراجع الأكاديمية والتوثيق العلمي الدقيق، وثانيهما أنه يرفض تقديم مادته في الأسلوب المغلق والمقعّر الذي يسود معظم الدراسات العربية والإسلامية المنشورة باللغة الفرنسية.

لذلك يمكننا القول إن المرجعية العلمية والمعالجة الجدية اللتين يمتاز بهما هذا الكتاب لا يمنعان من التمتع بقراءته وتقليب صفحاته. خصوصاً وأنه يتوجه – كما يؤكد المؤلفان – إلى القارئ الفرنسي العادي. ولإضفاء المزيد من المتعة والتسلية على المعلومات القيمة، نجد بين الصفحة والأخرى فقرات موضوعةً ضمن إطار خاصّ بها، وهي إما تطرح على القارئ الأسئلة والأحاجي، أو تقدّم معلومات مقتضبة ودقيقة عن الموضوع المعالج. يقول المؤلفان في مقدمة الكتاب : »إن الهدف من وضع تلك النصوص والأحاجي داخل إطار خاص بها هو إعطاء القارئ لحظات من التسلية والراحة بعد أن يكون قد تلقى دفقاً غزيراً من المعلومات الهامة التي يكتشفها شيئاً فشيئاً.« وحتى يسهل عليه التعرف على مضامين الكتاب ذُيّل بفهارس كثيرة تعيد القارئ إلى أرقام الصفحات (مثل أسماء الأمكنة، وأسماء العلم، وأشكال الكلمات العربية، واللغات والشعوب المذكورة في الكتاب، إلخ.).

والمؤلفان معروفان في مجال علوم اللغة. »هنريت فالتر« باحثة فرنسية وضعت العديد من المؤلفات في مجال تبسيط تاريخ اللغات الأوروبية وتداخلها فيما بينها. في حين أن بسام بركة، وهو باحث لبناني يختصّ بعلوم اللغة واللسانيات المقارنة، ينشر أبحاثه باللغتين الفرنسية والعربية، وتدخل المؤلفات التي نشرها في مضمار »الأسلوبيات«، و »علم الأصوات«، و »تحليل النصوص الأدبية«، كما وضع معاجم وقواميس عدة من أهمها